تأسيس الدرس اللغوي عند العرب
-دراسة مقارنة بين علماء اللغة وعلماء الأصول-

علية بيبية أستاذة محاضرة " أ"
قسم اللغة اللغة والأدب العربي
جامعة تبسة

Summary:
beginning of the twentieth century that it is used to designate a separate discipline as a result of scientific developments in natural sciences and sociology. This no longer denies the presence of a certain linguistic concepts and principles. These ideas are aspects of the interests of Arab scientists for Arabic for philosophical or religious The term linguistics is not present in the old research on Arabic language. It is only at the factors. They studied language on several levels of analysis, beginning from sound to structures. Our comparative study focuses on two linguists: Elakhalil and Sibouaiah, and two pioneer of jurisprudence: Errazi and Elchatibi, to unvail important linguistic issues they evoked.
Keywords: Linguistic. language, separate, Arabic, analysis

Résumé:
Le terme de linguistique n'est pas présent dans les anciennes recherches sur la langue. Ce n'est qu'au début du vingtième siècle qu'il est utilisé pour désigner une discipline distincte suite aux développements scientifiques en sciences naturelles et en sociologie. Ceci n'interdit plus la présence de quelques notions ou principes linguistiques dans les études anciennes sur la langue. Ces idées émanent de l'intérêt que les savants arabes portent à la langue pour des motifs philosophiques ou religieux. Évoquant ainsi de nombreuses questions linguistiques basées en général sur les niveaux d'analyse allant du son jusqu'au structures. Nous allons, dans ce contexte et selon une approche comparative, explorer les principales questions évoquées par deux linguistes, Elkhalil et Sibaouaih, et deux pionnier de la jurisprudence, Errazi et Elchatibi. –
Mots clés: Linguistique, langue, développement. Philosophiques, général

الملخص:

لم يعرف الدرس اللغوي القديم مصطلح اللسانيات كعلم قائم بذاته إلا في بداية القرن العشرين، وذلك تزامنا مع التطور العلمي في شتى المجالات كعلوم الطبيعة ونظريات علم الاجتماع،ولكن هذا لا يمنع من ظهور جذوره وأولياته في الدرس اللغوي القديم حيث انبثقت اهتماماتهم من مرجعيات دينية وفلسفية،الأمر الذي جعلهم يميطون اللثام عن قضايا لغوية كثيرة ارتكزت معظمها على مستويات التحليل اللغوي انطلاقا من الصوت وصولا إلى

التراكيب، وفي هذا السياق وقع اختيارنا على عالمين لغويين هما الخليل وسيبويه وعالمين من علماء الأصول هما الرازي والشاطبي لنسلط الضوء على أهم القضايا اللغوية عند علمائنا العرب من خلال مقارنة بين علماء اللغة وعلماء الأصول.

الكلمات المفتاحية: اللغوي، اللسانيات، التحليل، الصوت، التراكيب.

لقد ساهم علماء العرب في التأسيس للدراسات اللغوية ،وكان لهم باع طويل فيها ،وقد بنيت مرجعيتهم في ذلك على القرآن الكريم والحديث والشعر ،وعلى الرغم من عدم تداخل المستويات اللغوية وتضافرها فيما بينها في العديد من مؤلفاتهم مثلما نجده في الفكر اللساني الحديث ،إلا أن الدراسة كانت مستفيضة شاملة ،وقد خصص لكل مجال من المجالات اللغوية نظاما خاصا مستقلا بها بداية من المجال الصوتي وصولا إلى المجال الدلالي وكل هذه الدراسات أسست بغرض الحفاظ على لغة القرآن الكريم وصيانته من اللحن.

ويعتبر العالمان اللغويان الخليل بن أحمد الفراهيدي صاحب كتاب العين وسيبويه صاحب الكتاب من أهم علماء اللغة الذين اهتموا بمجالات اللغة في الصوت والمعجم والتركيب والدلالة.

1-الخليل بن أحمد الفراهيدي:

وهو الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري عربي من أزد عمان ولد سنة 100هـ وتوفي سنة 175 هـ وكانت نشأته وحياته بالبصرة وقد أخذ يختلف منذ نعومة أظفاره إلى حلقات المحدثين والفقهاء وعلماء اللغة والنحو ،وأكب على حلقات أستاذيه عيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء ،كما أكب على ما فعل من علوم الشعوب المستعربة وخاصة العلوم الرياضية ،ألف كتابه العين أول معجم في العربية [1]

ويعلق الدكتور كمال بشر على معجم العين فيقول: «واستقرت في ذهن عالم العربية الأول الخليل بن أحمد فكرة المعجم حيث رأى أن يجمع ألفاظ اللغة العربية في مصنف يلم شتاتها ويجلو غامضها فأخرج كتابه الرائد معجم العين الذي أخذ بيد الصناعة المعجمية العربية إلى طريقها الصحيح وأرسى تقاليد هذه الصناعة التي ما لبثت أن تفرعت مساراتها وتنوعت ولكنها جميعا تلتقي عند هدف سام ونبيل وهو الحفاظ على مادة اللغة العربية لغة القرآن الكريم دستور الإسلام»[2]

وينتمي معجم العين إلى معاجم الألفاظ وهو يقوم بجمع الألفاظ دون التقيد بموضوعات معينة حيث تم حشد المفردات وإجلاء المعاني الخاصة بها ،وقد قام معجمه على ترتيب مخرجي.وقد سمى كتابه العين لأنه بدأ بهذا الصوت الذي يخرج من الحلق ولقد أراد من خلال هذا الكتاب«أن تعرف به العرب في أشعارها وأمثالها ومخاطباتها فلا يشذ عنه شيء من ذلك فأعمل فكره فيه فلم يمكنه أن يبتدئ التأليف من أ،ب،ت،ث وهو الألف، لأن الألف حرف معتل فلما فاته الحرف الأول كره أن يبتدئ بالثاني وهو الباء إلا بعد حجة واستقصاء النظر ،فدبر ونظر إلى الحروف كلها وذاقها فوجد مخرج الكلام كله من الحلق فصير أولاها بالابتداء»[3]

وقد أقام الخليل نظامه على أربعة أسس وهي الترتيب المخرجي والترتيب الكمي والتجريد والتقليبات.

1-**الترتيب المخرجي:**

أراد الخليل أن يصنف مادته داخل المعجم فوجد نظامين للترتيب الأبجدي ،الأول نظام الأبجدية الفنيقية والثاني نظام نصر بن عاصم وهو النظام الألفبائي العادي لكنه لم يعمل بهما بسبب الهمزة ،يقول في ذلك« لم أبدأ بالهمزة لأنها يلحقها النقص والتغيير والحذف ،ولا بالألف لأنها لا تكون في ابتداء كلمة لا في اسم ولا فعل إلا زائدة أو مبدلة ولا بالهاء لأنها مهموسة خفية لا صوت لها ،فنزلت إلى الحيز الثاني وفيه العين والحاء فوجدت العين أنصع الحرفين فابتدأت به ليكون أحسن في التأليف»[4]

ويقول أيضا:«وإنما كان ذوقه إياها أنه كان يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف نحو إب،إت،إع،إغ فوجد العين أدخل الحروف في الحلق فجعلها أول الكتاب ثم ما قرب منها الأرفع فالأرفع حتى أتى آخرها وهو الميم»[5]

وقد جاء ترتيب الخليل من الناحية المخرجية على الحروف الصحاح ثم العلل وجاء ترتيبه على النحو الآتي:ع ح هـ خ غ-ق ك- ج ش ض-ص س ز-ط د ت-ظ ذ ث-ر ل ن-ف ب م- واي.

والملاحظ أن الحروف الثلاثة الأخيرة وهي حروف العلة جاءت في نهاية الترتيب وضم إليها الهمزة لأنها مخرجها هوائي غير منسوب إلى مخارج معينة.

2-**الترتيب الكمي:**

لقد اختار الخليل أن يصنف مادته على أساس الأبنية ،فنظر إلى الأبنية الموجودة في اللغة العربية فوجدها أربعة أصناف من الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي فجاء تصنيفه على الصورة التالية:

-الثنائي:ما جاء على حرفين نحو قد،هل ،بل ونحوه من الأدوات .

-الثلاثي الصحيح:نحو ضرب،جعل

-الثلاثي المعتل نحو وعد ،وعل

-الثلاثي المضعف نحو وشى،هوى

-الرباعي:دحرج، عقرب

-الخماسي:نحو اقشعر ،سفرجل[6].

3-**التجريد:**

ونعني بهذا المبدأ تخليص الكلمة من أحرف الزيادة حتى تصل بها إلى حروفها الأصول على النحو التالي :استعداء: (عدو)،العاديات :(ع د و).

4-**التقليبات:**

ونعني بها تقليب الكلمة للإتيان بكل صورها المختلفة وقد لجأ الخليل إلى هذه العملية لكي يضمن حصرا محيطا بألفاظ اللغة ،فالكلمة الثنائية تعطي صورتين نحو :(قد، دق) ،(هل،له) والكلمة الثلاثية تعطينا ست صور على النحو التالي:الفعل لعب يعطينا الصور الآتية:(علب،عبل،لعب،لبع،بعل،بلع) [7]

أما مجال الدراسة الصوتية: فقد حدد الناحية الفونولوجية وهي أعضاء النطق وذلك بوصفه مخارج الحروف إذ يقول:«فالعين والحاء والغين والخاء حلقية لأن مبدأها من الحلق والقاف والكاف لهويتان لأن مبدأهما من اللهاة والجيم والشين والضاد شجرية لأن مبدأها من شجر الفم.»[8]

ويمكن القول حول الجهود اللغوية للخليل أن نهجه الصوتي سار على وصف علمي دقيق من حيث الترتيب ووصف جهاز النطق وتحديد المخارج ،وقد علل بعض اللغويين العرب المحدثين على هذه الجهود قائلا« ومن أحسن ما عرض له العرب في دراسة الأصوات ما نجده عند الخليل من وصف الجهاز الصوتي وهو الحلق والفم إلى الشفتين وتقسيمه إياه إلى مناطق ومدارج يختص كل منها بحرف أو مجموعة حروف وما أشار إليه من ذوق الحروف لبيان حقيقة المخرج ،فقد هدي بذكائه المتفوق في ذلك إلى مقاييس صحيحة أقر كثيرا منها علماء الأصوات المحدثون»[9]

الدراسة اللغوية عند سيبويه:

التعريف به: اشتهر بلقبه سيبويه وهو لقب أعجمي يدل على أصله الفارسي واسمه عمرو بن عثمان بن قنبر من موالي بني الحارث بن كعب ولد بقرية من قرى شيراز تسمى البيضاء وفيها تلقن دروسه الأولى وطمحت نفسه للاستزادة من الثقافة الدينية ،وقد لزم حلقات النحويين واللغويين وفي مقدمتهم عيسى بن عمرو والأخفش وأكثره الخليل حيث أخذ عنه كل الدراسات النحوية والصرفية [10]

وقد ألف كتابه الذي يعد شاملا جامعا لقضايا النحو وهو الكتاب مستندا في ذلك لأقوال الخليل وقد حظي كتابه بالوصف الرائع من طرف علماء اللغة حيث يقول أحدهم:« لا أعرف كتابا ألف في علم من العلوم قديمها وحديثها اشتمل على جميع ذلك العلم وأحاط ذلك الفن غير ثلاثة كتب المجسطي لبطليموس في علم هيئة الأفلاك والثاني كتاب أرسطاطاليس في علم المنطق والثالث كتاب سيبويه البصري النحوي، فإن كل واحد من هذه لم يشذ عنه من أصول فنه شيء إلا ما لا خطر له»[11]

ولقد نسق سيبويه في الكتاب أبوابا منظمة منسقة وجعله قسمين كبيرين ،أما القسم الأول «فخصه بالنحو ومباحثه وكاد لا يترك في هذه المباحث جانبا إلا استقصاه من جميع أطرافه في الجزء الأول من الكتاب وأوائل الجزء الثاني حتى إذا فرغ من هذه المباحث انتقل يبسط في دفة القسم الثاني وما يخوض فيه من المباحث الصرفية محيطا بكل تفاصيلها إحاطة تامة واصلا لها بمادة صوتية واسعة من مثل الحديث عن الإمالة والوقف والروم والإشمام والإشباع وما إلى ذلك»[12]

وقد بدأ كتابه بتقسيم الكلم في العربية إذ يقول:«هذا باب علم ما الكلم في العربية ،فالكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل،فالاسم رجل وفرس وحائط ،وأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء وبنيت لما مضى ولما يكون ولم يقع وماهو كائن لم ينقطع، فأما بناء ما مضى فذهب وسمع ومكث وحمد ، وأما بناء مالم يقع فإنه قولك آمرا اذهب واقتل واضرب ومخبرا يقتل ويذهب ويضرب ،وكذلك بناء ما لم ينقطع وهو كائن إذا أخبرت ،وأما ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل فهو ثم وسوف وواو القسم ونحوها»[13]

فالكلم ينقسم إلى ثلاثة أقسام اسم وفعل وحرف ،فالاسم دال على الثبوت ،والفعل دال على التجدد ،والحرف ليس له دلالة إلا إذا اقترن بغيره ،والاسم في أدق تعريفه هو «ما دل على ذات أو مسمى وليس الزمن جزء منه ويفيد الثبوت لا التجدد والحدوث مثل حافظ أو قائم»[14]

والفعل ما دل على حدث مقيد بزمن ،فالزمن عنصر أساس فيه يميزه عن الاسم والحرف ويفيد التجدد في زمن وقوعه مثل: يقوم محمد حيث أفاد القيام بعد أن لم يكن ،فقد كان جالسا أو قائما ،ودل الفعل على الزمن وهو التجدد فهو يقوم وما زال في الحدث،فالفعل المضارع يفيد الحال والاستقبال والماضي ،يفيد تمام وقوع الحدث في زمن انقضى،وهو في زمن حدوثه في الماضي أفاد التجدد ،فالأفعال التي تحدث الآن في الحال والاستقبال ستصبح هي الأخرى ماضيا انقضى زمنه [15]

أما في **المجال الصوتي:** فقد نهج سيبويه نهج الخليل في الجانب النطقي حيث بدأ من أقصى الحلق وصولا إلى الشفتين ،إلا أنه خالفه في ترتيب الحروف حيث بدأ سيبويه بالهمزة والألف والهاء وقدم الغين على الخاء وأخر القاف عن الكاف. يقول في ذلك:«هذا باب عدد الحروف العربية ومخارجها ومهموسها ومجهورها وأحوال مجهورها ومهموسها واختلافها،فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفا: الهمزة والألف والهاء والعين والحاء والغين والخاء والكاف والقاف والفاء والجيم والشين والياء واللام والراء والنون والطاء والدال والتاء والصاد والزاي والسين والظاء والذال والثاء والفاء والباء والميم والواو»[16]

ثم يقول « ولحروف العربية ستة عشر مخرجا فللحلق منها ثلاثة فأقصاها مخرجا الهمزة والهاء والألف ،ومن وسط الحلق مخرج العين والخاء وأدناها مخرجا من الفم الغين والخاء ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلا ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف ....»[17] كما حدد صفات الأصوات منها المجهور والمهموس فقال«فأما المجهورة فالهمزة والألف والعين والغين والقاف والجيم والباء والضاد واللام والنون والراء والطاء والدال والزاي والظاء والذال والباء والميم والواو فذلك تسعة عشر حرفا،وأما المهموسة فالهاء والحاء والخاء والكاف والسين والشين والتاء والصاد والتاء والفاء فذلك عشرة أحرف»[18]

ويعرف الصوت المجهور والمهموس بقوله:«فالمجهور حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت»[19]،وقد أشار إلى أن النون والميم بالرغم من أنها مجهورة إلا أنهما خيشوميتان فعند النطق بهما يجري النفس في الخياشيم فتصير فيهما غنة.

أما المهموس« فحرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فرددت الحرف مع جري النفس،ولو أردت ذلك في المجهورة لم تقدر عليه ،فإذا أردت إجراء الحروف فأنت ترفع صوتك إن شئت بحروف اللين والمد أو بما فيها منها ،وإن شئت أخفيت»[20]

فالفرق بين المجهور والمهموس هو جريان الهواء ومنعه بين أعضاء النطق،ومعيار الفصل بينهما عند المحدثين الذين فرقوا بين الاثنين بالاعتماد على تباعد الوترين الصوتيين وتضامهما .وقد جاء في الكتاب العديد من القضايا الصوتية كظاهرة الإدغام والمماثلة وغيرها.

أما في **المجال الصرفي:** فقد ساهم سيبويه في بيان قيمة المفردات وما يعتورها من تغييرات مورفولوجية تساهم في تشكيل الدلالة فتغدو المفردة من كونها بنية مستقلة خارج السياق إلى دلالات اشتقاقية متعددة عن طريق التغيير في الصوامت والصوائت ،وينطلق سيبويه في حديثه عن البنية الصرفية من تعريفه للتصريف الذي يعرفه بقوله:«أن تبني من الكلمة بناء لم تبنه العرب على وزن ما بنته ثم تعمل في البناء الذي بنته»[21]

وقد ركز سيبويه على أبنية تساهم في تضافر الكلمة وهي الصوامت والصوائت

أ-بنية الصوامت:

تعد الصوامت البنيات الثابتة في الأبنية المورفولوجية وقد عدها سيبويه « البناء الساكن الذي لا زيادة فيه وتلحقه الألف والواو والياء التصاقا للتوصل إلى التكلم به»[22]

ويفرق سيبويه بين الصوامت الأصول والمصوتات التي هي الأحرف الثلاثة الألف والواو والياء ويقول في ذلك «فأما الأحرف الثلاثة فإنهن يكثرن في كل موضع ولا يخلو منهن حرف أو من بعضهن وكثرتهن في الكلام وتمكنهن فيه زوائد»[23]،ويؤكد دلالة الياء والواو بقوله:«وإنهما لا تخلو الحروف منهما ومن الألف أو بعضهن»[24]

فهذه الأحرف الثلاثة هي مصوتات تمكن الكلمة من التغيير والتحويل وفي ذلك يقول«وإنما كان الاعتلال في الياء والواو لكثرة ما ذكرت لك من استعمالهم إياها وكثرة دخولها في الكلام»[25].

ومهمة الاشتقاق هي نتاج بين الصوامت والصوائت ،إذ لا تقتصر مهمتها على المصوتات فحسب ،وإنما تشارك معها بعض الصوامت في توليد الوحدات المعجمية على الرغم من قيام المصوتات بوظيفة أساسية في إنتاج المفردات وكثرة هيئاتها وتوزيع معانيها وفي حديث سيبويه عن الزوائد يقول هذا باب على حروف الزوائد ويعطي مثالا على الهمزة والألف فيقول«فالهمزة تزاد إذا كانت أول حرف في الاسم رابعة فصاعدا والفعل نحو أقبل أو اذهب وفي الوصل في ابن ،اضرب والألف وهي تزاد في فاعل ونحوه وتاليه في عماد ونحوه»[26].

فهذا النص يبين الأفعال المزيدة بحرف في نحو أكرم وقاتل وذلك بزيادة الهمزة في المثال وهذه الزيادة لا تخلو من إفادة معنى التعدية في أكرم وفي المشاركة نحو قاتل.

أما الأوزان فقد أسهب فيها كثيرا كوزن فعال الدال على الداء والصوت وفعالة الدالة على الصناعة وغيرها من الأوزان الاشتقاقية التي تؤدي دلالات متعددة.

أما في **الجانب التركيبي** الذي يعنى بموقع الكلمات داخل التركيب فأساسه الجملة إلا أن هذا المصطلح لم يذكره سيبويه وإنما ذكر الكلام وذلك في قوله «هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة وقوله وأما المحال فأن تنقض أول كلامك بآخره»[27]

أما عن قضية الإسناد وهي المرتكز الأساس في التركيب فيقول فيه:« هذا باب المسند والمسند إليه وهما مالا يستغني واحد منهما عن الآخر ولا يجد المتكلم منه بدا فمن ذلك الاسم المبتدأ أو المبني عليه وهو قولك عبد الله أخوك وهذا أخوك ،ومثل ذلك يذهب عبد الله فلا بد للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأول بد من الآخر وفي الابتداء ومما يكون بمنزلة الابتداء قولك كان عبد الله منطلقا ،لأن هذا يحتاج إلى ما بعده وكاحتياج المبتدأ إلى ما بعده»[28]

فهذا النص يشير إلى القضايا الآتية:

–التلازم بين المسند والمسند إليه وافتقار كل منهما إلى الآخر ليكون ملاما مفيدا وجعل الكلام المفيد ،إنما يتكون من اسمين أو من اسم وفعل فلا يأتي من فعلين ولا حرفين ولا اسم ولا حرف ولا فعل وحرف،والإفادة تحصل بالإسناد وهو لا بد له من طرفين مسند ومسند إليه.

–تقسيمه الجملة إلى قسمين جملة اسمية وجملة فعلية ،فالاسمية التي تبدأ باسم والفعلية تبدأ بفعل [29]

وخلاصة القول :يمثل كل من الخليل بن أحمد وسيبويه مدرسة لغوية في مجال الدراسات الصوتية والصرفية والتركيبية حيث يعتبران من المؤسسين الأوائل للدرس اللغوي خاصة في مجال المعجم والصوت والنحو.

أما علماء الأصول فالدرس اللغوي يحظى بأهمية واسعة في علوم الفقه لأنه يعتمد على فهم واستنباط الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة ، ويقتضي ذلك الفهم الدقيق لهذه الأحكام والذي يجب أن يراعى فيه الضوابط اللغوية المستنبطة من تراكيب اللغة العربية وبيانها وأساليبها ومعانيها وألفاظها، وفي ذلك يقول ابن فارس في كتابه الصاحبي:«إن العلم بلغة العرب واجب على كل متعلق من العلم بالقرآن والسنة»[30]

ويقول الإمام الغزالي:«ليست اللغة والنحو من العلوم الشرعية في أنفسهما ولكن يلزم الخوض فيهما بسبب الشرع ،إذ جاءت الشريعة بلغة الأدب ،وكل شريعة لا تظهر إلا بلغة فيصير تعلم تلك اللغة آلة»[31]

وعلم الأصول أو أصول الفقه يستنبط أساسا من الكتاب والسنة ،فهو إذن علم قطعي يقول الشاطبي في ذلك:«إن أصول الفقه في الدين قطعية لا ظنية والدليل على ذلك أنها راجعة إلى كليات الشريعة ،وما كان كذلك فهو قطعي»[32]

والأصول«جمع أصل وهو في الاصطلاح ما يبنى عليه غيره عكس الفرع فإنه ما يبنى على غيره،والفقه لغة الفهم وفي الاصطلاح الأحكام الشرعية التي طريقها طريق المجتهدين والدين والجزاء والعبادة وهو المراد هنا والقطعي الذي لا شك فيه وظنية منسوبة إلى الظن وهو الراجح من الأمر»[33]

وتكمن علاقة أصول الفقه بعلوم اللغة في معرفة الدلالات الكامنة في كتاب الله وأحاديث نبيه صلى الله عليه وسلم ويتجلى تأثير الدرس اللغوي في أصول الفقه في البحث **عن دلالات الألفاظ** ، وعلى أساسه تعرف الدلالة عند الأصوليين بتعريفات عدة ،فهذا الراغب الأصفهاني يعرفها بقوله:«ما يتوصل به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى ودلالة الإشارات والرموز والكتابة والعقود في الحساب سواء كان ذلك لقصد ممن يجعله دلالة أو لم يكن بقصد كمن يرى حركة إنسان فيعلم أنه حي، قال تعالى « ما دلهم على موته إلا دابة في الأرض » سبأ آ14 [34]

أما دلالة اللفظ فيعرفها بقوله:«اعلم أن دلالة اللفظ عبارة عن كونه بحيث إذا سمع أو تخيل لا حظت النفس معناه»[35]

ويعرف الزركشي دلالة الألفاظ بقوله:« هي كون اللفظ بحيث إذا أطلق فهم منه المعنى من كان عالما بوصفه له»[36].

وقد حدد الأصوليون أركان الدلالة ويتجسد ذلك في قول أبي حامد الغزالي:(ت505هـ) «فإن للشيء وجودا في الأعيان ثم في الأذهان ثم في اللفظ ثم في الكتابة فالكتابة دالة على اللفظ واللفظ دال على المعنى الذي في النفس والذي في النفس هو مثال الوجود في الأعيان»[37].

فالكتابة دال فقط باعتبارها واسطة تمثيل للملفوظ فهي إشارة لإشارة واللفظ دال باعتبار ومدلول باعتبار والمعنى الذي في النفس أي الصور الذهنية مدلول فقط وليس بدال[38].

وتقسم الدلالة باعتبار الدال والمدلول إلى الطبيعية والعقلية والوضعية وهذه الأخيرة تقسم إلى قسمين لفظية وغير لفظية ،فالدلالة اللفظية موضوعها اللفظ أما غير اللفظية فموضوعها الإشارات والرموز وغير ذلك.

ومن القضايا المتعلقة بعلاقة اللفظ والمعنى عند الأصوليين أنهم حصروا أنواع الدلالات في أربعة أمور عبارة النص وإشارة النص ودلالة النص واقتضاء النص.

فالثابت بالعبارة :هو ما كان السياق لأجله ويعلم قبل التأمل أن ظاهر النص متناول له، أما الثابت بالإشارة هو ما لم يكن السياق لأجله لكنه يعلم بالتأمل في معنى اللفظ من غير زيادة فيه ولا نقصان ،أما الثابت

بدلالة النص فهو ما ثبت بمعنى النظم لغة لا استنباطا بالرأي لأن للنظم صورة معلومة ومعنى هو المقصود به،أما الثابت بمقتضى النص فهو عبارة عن زيادة على المنصوص عليه بشرط تقديمه ليصير المحكوم مفيدا أو موجبا للحكم[39].

ومن بين القضايا التي تطرق إليها الأصوليون قضية التخاطب، وهذه العملية تتطلب أربعة عناصر أساسية وهي:

1-الوضع :وهو نسبة الألفاظ إلى المعاني

2-الدلالة :وهي نتيجة للوضع والسياق

3-الاستعمال:وهو إطلاق الكلام وقصد معنى ما.

4-الحمل :وهو اعتقاد السامع مراد المتكلم[40].

ومن بين الأصوليين الذين اعتمدوا الدراسة اللغوية نهجا لاستنباط الأحكام فخر الدين الرازي والشاطبي ومن بين القضايا التي تطرقا إليها:

1-قضية الاشتقاق:

يبين الرازي ان الوصول إلى مدلولات الألفاظ يكون عن طريق الاشتقاق إذ يقول«اعلم أن أكمل الطرق في تعريف مدلولات الألفاظ هو طريقة الاشتقاق، ثم إن الاشتقاق على نوعين الاشتقاق الأصغر والاشتقاق الأكبر،أما الاشتقاق الأصغر فمثل اشتقاق صيغة الماضي والمستقبل من المصدر،ومثل الاشتقاق اسم الفاعل واسم المفعول وغيرهما فيه ، وأما الاشتقاق الأكبر فهو أن الكلمة إذا كانت مركبة من الحروف كانت قابلة للانقلابات لا محالة،فنقول أول مراتب هذا التركيب أن تكون الكلمة مركبة من حرفين ، ومثل هذه الكلمة لا يقبل إلا نوعين من التقليب كقولنا (من) وقلبه (نم) ،وبعد هذه المرتبة أن تكون الكلمة مركبة من ثلاثة أحرف كقولنا (حمد) وهذه الكلمة تقبل ستة أنواع من التقليبات ..»[41].

والملاحظ من خلال النص أن الفخر الرازي يحذو حذو الخليل بن أحمد في نظام التقاليب،فكلما زادت هذه التقاليب كلما تنوعت دلالات الكلمات.

وتحدث الفخر الرازي عن دلالات المعاني الصرفية فيقول:«ففعال في أكثر الأمر يدل على مكروه أومنكر،أما في المعاني فالسبات والفواق والزكام والدوار والصداع لأعراض وآفات في الناس والنبات ،وأما في الأعيان فكالجذاذ والحطام والفتات »[42].

ويمكن القول أن النزعة الاشتقاقية عند الرازي «هو أن واضع اللغة الأول عندما كان يريد أن يضع الألفاظ المنتمية للأشياء فإنه يحاول أولا أن يحاكي الصوت الصادر من هذا الشيء أو ذاك أو أن يحاكي صوت حركته وأفعاله ، ومن ثم يخلق بواسطة جهازه النطقي صوتا يمثل هذا الشيء،ومن هنا فإن أصول الألفاظ تعكس حقيقة المشابهة بين اللفظ ومدلوله الطبيعي»[43]

ومن بين القضايا التي أشار إليها الرازي مفهوم الكلمة إذ يقول«اعلم أن تركيب الكاف واللام والميم بحسب تقاليبها الممكنة الست تفيد القوة والشدة خمسة منها معتبرة وواحد ضائع فالأول (ك ل م) قمته الكلام لأنه يقرع السمع ويؤثر فيه ، وأيضا يؤثر في الذهن بواسطة إفادة المعنى، ومنه الكلم للجرح وفيه شدة،والكلام ما غلظ عن الأرض وذلك لشدته»[44].

وفي حديثه عن اللفظ يقول:«وظن أن إطلاق اللفظ على هذه الأصوات والحروف على سبيل المجاز ،وذلك لأنها إنما تحدث عند إخراج النفس من داخل الصدر إلى الخارج يحبسه في المحابس المعينة ثم يزيل ذلك الحبس فتولد تلك الحروف في آخر الزمان حبس النفس وأول زمان إطلاقه ،والحاصل أن اللفظ هو الرمي وهذا المعنى حاصل في هذه الأصوات والحروف من وجهين الأول أن الإنسان يرمي ذلك النفس من داخل الصدر إلى خارجه ويلفظه وذلك هو الإخراج واللفظ سبب لحدوث هذه الكلمات، والثاني أن تولد الحروف لما كان سبب لفظ ذلك الهواء من الداخل إلى الخارج صار ذلك شبها وبما أن الإنسان يلفظ تلك الحروف ويرميها من الداخل إلى الخارج والمشابهة إحدى أسباب المجاز»[45].

من خلال هذين التعريفين فإن الرازي يرك على الظواهر الصوتية في التعريف اللغوي ويتحدث عن صدور الصوت وإطلاقه ومصدر ذلك هو الهواء الداخل والخارج.

ويعتبر اللفظ أصغر الوحدات المعجمية حسب الأصوليين وهو الوحدة المركزية في أداء المعنى وإبلاغه وإيصاله إلى السامعين وفي ذلك يقول الشاطبي:«اللفظ إنما هو وسيلة لتحصيل المعنى المراد والمعنى هو المقصود»[46].

والملاحظ في الدرس اللغوي عند الأصوليين أن اللفظ يعد من أول اهتماماتهم لأن فهم النص الشرعي وضبط معانيه اللغوية والشرعية لا يتم إلا من خلال اللفظ فهو مفتاح المعنى.

وخلاصة القول أن علماء الأصول جعلوا من الدرس اللغوي منطلقا أساسيا لهم في استنباط الأحكام الشرعية حيث استثمروا كل ما يتعلق بخصائص اللغة في ألفاظها ومعانيها في البحث عن مدلولات النص ،الأمر الذي أدى إلى ضبط دقيق للمصطلحات المستعملة عندهم.

خاتمة:

بعد ولوجنا لعالم الدرس اللغوي عند بعض العلماء من اللغويين والأصوليين استخلصنا النتائج الآتية:

-لقد كان الدرس اللغوي عند اللغويين والأصوليين مستنبطا من القرآن الكريم والسنة الأمر الذي جعلهم يستشهدون بالأمثلة التي يقيمون عليها الدراسة.

-اعتمد الدرس اللغوي عند كل من اللغويين والأصوليين على المنهج الوصفي القائم القائم على الملاحظة والاستقراء واستجلاء النصوص.

–اشتمل الدرس اللغوي عند علماء الأصول على دراسة دلالات الألفاظ الواقعة في سياقات معينة ،سواء أكانت في سياقها النصي أو خارج النص.

–لقد كان الدرس اللغوي عند علماء اللغة في الدراسة اللغوية متدرجا حيث بدأ بالتحليل الصوتي باعتبارها أصغر الوحدات وصولا إلى التحليل التركيبي الذي يهتم بعلاقات الربط والارتباط.

الهوامش :

[1]شوقي ضيف:المدارس النحوية ،دار المعارف القاهرة ط6،دت،ص 154

[2]كمال بشر:التفكير اللغوي بين القديم والجديد،دار غريب القاهرة،ط 1، 2005 ، ص333

[3]الخليل بن أحمد الفراهيدي:العين ،تحقيق مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي،دط،دت ص 46

[4]جلال الدين السيوطي:المزهر في علوم اللغة،تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ،مطبعة عيسى البابي،القاهرة ،1958 ج1،ص90

[5]الخليل بن أحمد:كتاب العين ج1،ص47

[6]ينظر :كمال بشر التفكير اللغوي بين القديم والجديد ص340

[7]المرجع نفسه ص 341

[8]الخليل بن أحمد :كتاب العين ج 1 ص 60

[9]محمد فريد عبد الله: الصوت اللغوي ودلالته في القرآن الكريم،دار ومكتبة الهلال،بيروت ،ط1 ،2008 ص35

[10]شوقي ضيف: المدارس النحوية ص 57

[11]المرجع نفسه ص 60

[12]المرجع نفسه ص 61

[13]سيبويه: الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون ،مكتبة الخانجي القاهرة،ط3، 1988 ج 1 ص 12

[14]محمود عكاشة :التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة ص 95

[15]المرجع نفسه ص 95

[16]سيبويه:الكتاب ،ج4 ،ص 431

[17]المصدر نفسه ج 4 ص433

[18]المصدر نفسه ،ج4 ، ص434

[19]المصدر نفسه ج 4 ص 434

[20]امصدر نفسه ج 4 ص434

[21]محمد فتحي:الأبنية في اللغة العربية،منشورات ما بعد الحداثة،فاس،ط1، 2005 ص 54

[22]سيبويه :الكتاب،ج 4 ص 241

[23]المصدر نفسه ج4، ص 318

[24]المصدر نفسه ج4 ص 325

[25]المصدر نفسه ج 4 ص 339

[26]المصدر نفسه ج 4 ص 335

[27]المصدر نفسه ج 1 ص 25

[28]المصدر نفسه ج1 ص 23-24

[29]محمد سالم صالح: الدلالة والتقعيد النحوي دراسة في فكر سيبويه، دار غريب القاهرة، ط1، 2008 ص 50

[30]ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ص50

[31]حامد الغزالي:المستصفى في علم الأصول،تحمحمد عبد السلام عبد الشافي،دار الكتب العلمية،بيروت،ط1996 ،ص184

[32]الشاطبي:الموافقات ،تقديم بكر بن عبد الله أبو زيد،دار ابن عفان،دط،دت ،م1 ،ص 17-18

[33]المصدر نفسه م1، ص 17

[34]الراغب الأصفهاني :المفردات في غريب القرآن،مكتبة الأنجلو المصرية دط،دت ،ص 246-247

[35]المرجع نفسه ص 247-248

[36]الزركشي :البحر المحيط في أصول الفقه، ج2 ص 36

[37]أبو حامد الغزالي:معيار العلم في المنطق، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف مصر،دط،1969 ، ص 35- 36

[38]ينظر منقور عبد الجليل:علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، اتحاد الكتاب العربي دمشق 2001 ،ص 34

[39]علي زوين:منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث،دار الشؤون الثقافية العامة بغداد،ط1 ،1986

[40]محمد يونس علي:علم التخاطب الإسلامي،دار المدار بيروت،ط2006،1 ص 32

[41]الفخر الرازي : التفسير الكبير،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،دط،دت م1 ص 22

[42]المصدر نفسه ج 29 ص 183

[43]محي الدين حسيب:علم الدلالة عند العرب فخر الدين الرازي أنموذجا،دار الكتاب المتحدة، بيروت ،ط1، 2008 ،ص 40

[44]الفخر الرازي: التفسير الكبير ج1 ص22

[45]المصدر نفسه ج 1 ص24

[46] الشاطبي:الموافقات ج 2 ص 87